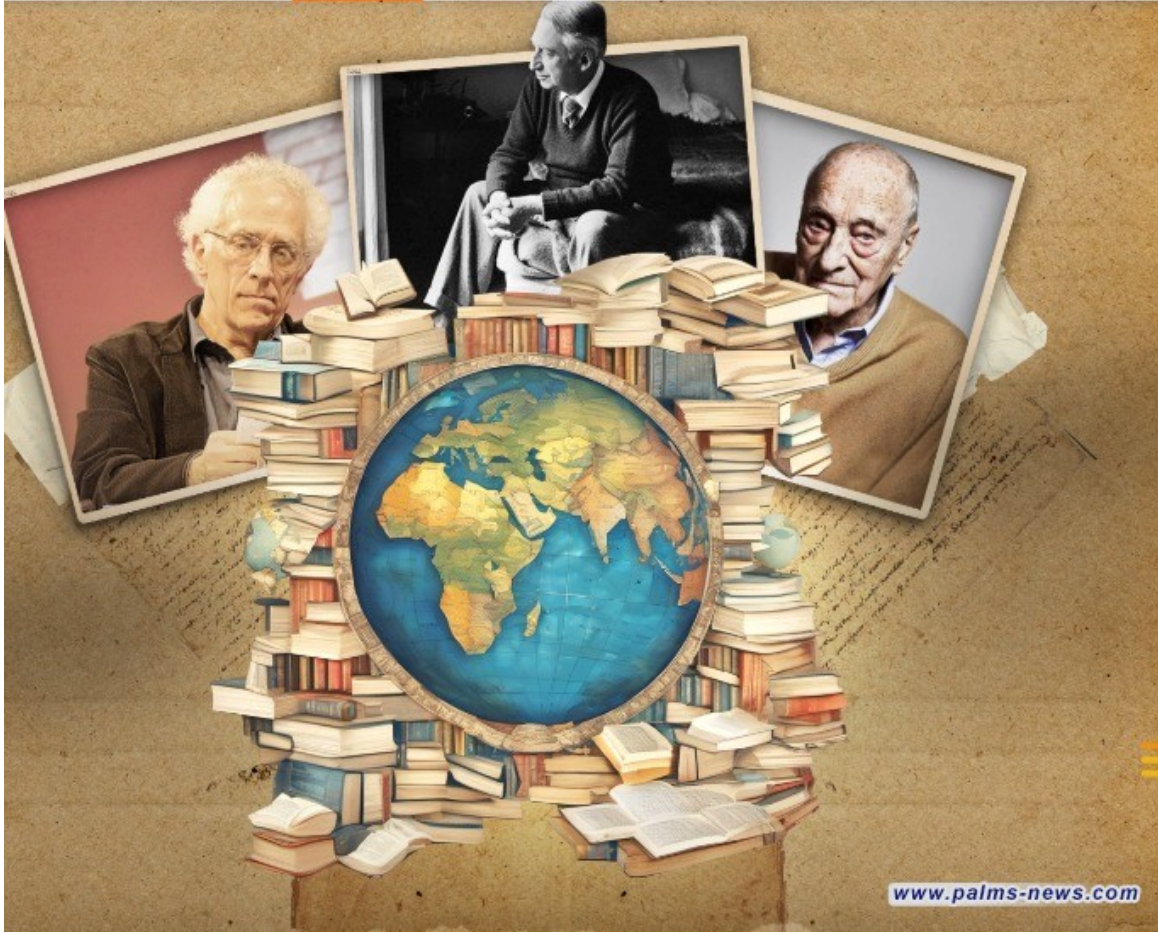




نخيل نيوز - متابعة

من تزفيتان تودوروف إلى رولان بارت وجيرار جينيت. ما الفرق بين القصة والحكي والسرد؟
عد "علم السرد" نظرية للنص السردى، وهو لا يهتم بتاريخ مجموعة معينة من النصوص السردية أو معناها أو وظيفتها، بل يبحث في ما تتقاسمه كل النصوص السردية الفعلية أو الممكنة، وفي ما يمكنها من أن تختلف عن بعضها البعض بوصفها نصوصاً سردية. وقد صكّ المصطلح (علم السرد) تزفيتان تودوروف عام 1969 في كتابه "نحو حكايات الليالي العشر" بالقول إنه: "يختص هذا العمل بعلم لم يوجد بعد، فلنطلق عليه اسم علم السرد، أي علم النص السردى، كما يجيء في الجزء الثامن من موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي (من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية).

تزفيتان تودوروف: شعرية السرد

يبدأ تودوروف بأنّ أي عمل روائي (قصصي) ينظر إليه من 3 زوايا: علم الدلالة (المضمون والعالم الذي يثيره)، أو علم السياق (سماته البنيوية وتجمعاتها)، أو علم البلاغة (المظهر اللفظي، بما في ذلك أسلوب التعبير ووجهة النظر وكل ما له من تأثير في الكلمات المتحققة في النص).

ويوضح تودوروف طريقته بأنّ تُعاد كل قصة إلى خلاصة سياقية صريحة، وانتبه إلى أنّ النص كلما كان أدبياً (كمعارض للنص الأسطوري أو الشعبي)، تندت هذه الطريقة وحلّت محلها الطرق الأخرى في التحليل مثل طريقة رولان بارت وجيرار جينيت.

تصدى تودوروف في مقالته "كيف نقرأ؟" لشتى المقاربات الممكنة في دراسة الأدب والكتابة عنه. يذكر 3 مقاربات تقليدية هي: الإسقاط والتعليق والشعرية. الإسقاط طريقة في القراءة عبر النصوص الأدبية باتجاه المؤلف أو شيء آخر يهم الناقد.

نخيل نيوز

والتعليق مكمّل للإسقاط، فكما يسعى الإسقاط للتحرك عبر وخلف النص، يسعى التعليق إلى البقاء داخل النص. أما الشعرية فهي التي تبحث في المبادئ العامة التي تتجلى في الأعمال الخاصة. ويؤسس تودوروف شعرية السردية على مفهوم محوري يسميه التحولات السردية، ويستعمل مصطلح الحكى بديلاً للفظ السرد، ويقول عنه: "إن مصطلح الحكى يستخدم هنا بمعنى عام جداً، إن معنى كلمة الحكى سيختلط جزئياً بكلمة تخيل".

واهتم تودوروف بمظهرين من الحكى هما المظهر النحوي، ومضماره القصة، والمظهر اللفظي وموضوعه الخطاب. ويقول إنه: "في المستوى الأكثر عمومية يكون للعمل الأدبي مظهران، فهو قصة وخطاب في الوقت نفسه. فالعمل كقصة يثير واقعية الأحداث التي جرت، والشخصيات التي قد تلبس بشخصيات الحياة الواقعية. هذه القصة نفسها يمكنها أن تُبْلَغ بوسائل أخرى، بواسطة فيلم مثلاً، من دون أن تكون مبنوثة في كتاب، لكن العمل الأدبي هو خطاب في الوقت نفسه، يوجد راوٍ ينقل القصة، وبالمقابل يوجد مروى له يتلقاها عنه. هنا ليست الأحداث المروية هي التي تهم، بل الطريقة التي يجعلنا الراوي بها نتعرف على الأحداث".

رولان بارت: التحليل البنيوي للسرد

في مقالته "التحليل البنيوي للنص السردى"، اعتمد رولان بارت على أعمال سابقة وفصل 3 مستويات تترابط ارتباطاً هرمياً في النص السردى، يتعلق اثنان منها بالمادة المروية أو القصة (مستوى الوظائف ومستوى الأحداث)، بينما يرتبط المستوى الآخر بفعل السرد أو الخطاب (مستوى السرد).

ويميّز بارت بين نوعين من العناصر الوظيفية (الوحدات السردية الصغرى التي ترتبط بالوحدات الأخرى ارتباطاً تتابعياً أو تبادلياً)، وهما الوظائف والمؤشرات. ويشمل كل نوع في حد ذاته نوعين من الوحدات، والوظائف بالمعنى الدقيق، التي ترتبط بالوحدات الأخرى من خلال التابع والتراتب، وتشمل وظائف أساسية (وحدات لازمة لزوماً منطقياً للحدث السردى ولا يمكن حذفها من دون القضاء على التماسك السببي الزمني لهذا الحدث)، وكذلك عوامل الحفز (وحدات تملأ الفراغ السردى بين المفاصل، لا يؤدي حذفها إلى القضاء على تماسك الحدث السردى). أما المؤشرات، فتشير إلى جو أو فلسفة أو شعور أو سمة شخصية، وتنتج المعنى بطريقة مضمرة.

جيرار جينيت: القصة والحكى والسرد

بالرغم من أن قدرًا كبيراً من الأعمال الخاصة بعلم السرد مكرس لدراسة المادة المسرودة بدلاً من فعل السرد، ويصف النص السردى على ضوءها، فإن بعض علماء السرد اعتبروا النص السردى طريقة للعرض (اللفظي) في الأساس. أي سرد الأحداث بواسطة راوٍ في مقابل تمثيلها على المسرح مثلاً. وعرفوا مهمتهم بأنها دراسة الخطاب السردى لا دراسة القصة. ويعد جيرار جينيت أبرز ممثل لهذا الاتجاه في علم السرد.

في مقالته "خطاب النص السردى" وكتابه "الخطاب الجديد للنص السردى"، يميز جينيت بين 3 مكونات للخطاب السردى هي: القصة والحكى والسرد. الحكى هو الذي يُعنى به الترتيب الفعلي للأحداث في النص، والقصة هي التتالي الذي حصلت فيه هذه الأحداث فعلياً. أما التسريد (السرد) فهو الذي يعنى بفعل السرد ذاته.

بحث جينيت في الروابط بين الترتيب الذي (يُعتقد أن) الأحداث حدثت وفقه، والترتيب الذي قُدمت به، والروابط بين مدة المادة المروية وطول النص السردى، والروابط بين عدد مرات وقوع الحدث وعدد المرات التي ذُكر فيها، وبحث في وجهات النظر التي يمكن من خلالها تقديم المادة المروية، وفي الأنواع الأساسية لتوسط الراوى، والطرائق الأساسية لتصوير أفكار الشخصيات أو أقوالها، ودرس الملامح المميزة للرواة والمروى عليهم (من يروي عليهم الراوى) والمقامات السردية.

ويميز جينيت 5 مقولات مركزية في تحليل السرد هي: الترتيب (الترتيب الزمني للسرد وكيف يمكن له أن يعمل من خلال الاستباق أو الاسترجاع أو المفارقة الزمنية. ويدل (الاستمرار) أو (الاستغراق الزمني) على أن السرد يمكن أن يُسقط أحداثاً ضمن سرد طويل ويطيها ويوجز ويتوقف قليلاً.

أما (التواتر) فيشتمل على تساؤلات عما إذا كان حدث ما قد حصل مرة في القصة وسُرد مرة، أو حصل مرات وسُرد مرات. أما مقولة (الصيغة) فيمكن تقسيمها إلى البعد والمنظور. فالبعد يعنى بعلاقة التسريد بمواده الخاصة، هل هي علاقة تلاوة للقصة أم تمثيل لها وهل السرد محكى بالكلام المباشر أم المنقول. أما المنظور فهو زاوية النظر، ويمكن تقسيمه أيضاً إلى أقسام فردية متنوعة: فالسارد قد يعرف أكثر من الشخصيات أو أقل أو يتحرك معها على المستوى ذاته. وقد يكون

نخيل نيوز

السرد يلقيه سارد كلي المعرفة من خارج الفعل أو تتلوه شخصية واحدة من موقع ثابت أو مواقع متغيرة، أو من وجهات نظر شخصيات متعددة. وثمة أخيراً مقولة (الصوت) التي تُعنى بفعل السرد ذاته، أي بنوع السارد والمسرود له، الذي ينطوي عليهما هذا السرد. ويمكن أن نجد هنا تركيبات عديدة بين زمن السرد وزمن المسرود، أي فعل تلاوة القصة والأحداث التي تُروى.